بصفة بأخس من الأمور وأنكره منكر توجه الإنكار إلى الكبير فكان
المقصود بالإنكار قولهم عزير ابن الله معبودنا وحمل تسليم كونه
ابن الله ومعلوم أن ذلك كفر **وقالت النصارى المسيح**
عيسى **ابن الله** واختلف في السبب الذي قالوا ذلك لأجله
فقالوا إنما قالوه استحالة لأن يكون ولد بلا أب وقيل إن
النصارى كانوا على دين الإسلام إحدى وثمانين سنة بعد
ما رفع عيسى عليه السلام يصلون إلى القبلة ويصومون
رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود
رجل شجاع يقال له بولص فقتل جماعة من أصحاب عيسى
عليه السلام ثم قال بولص اليهودي إن الحق مع عيسى وقد
كفرنا ومصيرنا إلى النار ونحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا
النار فإني سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار وكان له فرس
يقاتل عليه يقال له العقاب فعرقبه وأظهر الندامة والتوبة
ووضع التراب على رأسه وقال للنصارى نوديت من السما
ليس لك توبة إلا أن تتنصر وقد تبت وأتيتكم فأدخلوه الكنيسة
ونصروه ودخل بيتا فيها ومكث فيه سنة لا يخرج منها ليلا
ولا نهارا حتى تعلم الإنجيل ثم خرج منه وقال الله نودي أن
الله قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم
عمد إلى ثلاث رجال اسم واحد منهم نسطور والآخر يعقوب
والآخر ملكا فعلم نسطورا أن عيسى ومريم والإله ثلاث
وعلم يعقوب أن عيسى ليس بإنسان ولا جسم ولكنه ابن
الله وعلم ملكا أن عيسى هو الإله لم يزل ولا يزال فلما استمر
ذلك فيهم دعا كل واحد منهم وقال له أنت خالصتي وادعوا الناس

لما

٢٦١

لما علمتك وأمره أن يذهب إلى ناحية من البلاد ثم قال لهم إني
رأيت عيسى في المنام وقد رضي عني وقال لكل واحد منهم إني ذابح
نفسي تقربا إلى عيسى ثم ذهب إلى المذبح فذبح نفسه وتفرق
أولئك الثلاثة فذهب واحد إلى الروم وواحد إلى بيت المقدس
وواحد إلى ناحية أخرى وأظهر كل واحد منهم مقالته ودعا
الناس إليها فتبعه على ذلك طوائف من الناس فتفرقوا
واختلفوا ووقع القتال فهذا هو السبب في وقوع الكفر في
طوائف النصارى هذا ما حكاه الواحدي رحمه الله تعالى قال
الرازي عقب هذه الحكاية والأقرب عندي أن يقال ورد لفظ
الابن في الإنجيل على سبيل التشريف ثم إن القوم لأجل عداوة
القوم بالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجهال
قبلوا ذلك وفشا هذا المذهب الفاسد في أتباع عيسى عليه
السلام والله تعالى أعلم بالحقيقة **ذلك قولهم بأفواههم** أي
لا مستند لهم عليه فإن قيل كل قول يقال بالفم فما معنى
بأفواههم أجيب بأنه قول لا يعضده برهان فما هو إلا لفظ
يفوهون به فارغ من معنى تحته كالألفاظ المهملة التي لا تدل
على معان وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول
بالفم لا غير أو بأن يراد بالقول المذهب كقولهم قول الشافعي
رحمه الله يريد به مذهبه وما يقول به كأنه قيل ذلك مذهبهم
ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم لأنه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر
في القلوب وذلك أنهم إذا اعترفوا أنه لا صاحبة له ولا ولد
لم لهم شبهة في انتفاء الولد قال أهل المعاني لم يذكر الله تعالى قولا
مقرونا بالأفواه والألسن إلا كان ذلك زورا **يضاهون** قال

Copyright © King Saud University